كتاب

رائق التحلية فى فائق التورية

من شعر

ابن خاتمة الأنصارى

المتوفى سنة ٧٧٠ هـ

جمعه وصنفه تلميذه

(ابن رزقاله)

تحقيق ودراسة

دكتور فوزى سعد محمد عيسى

كلية الآداب جامعة الإسكندرية

التعريف بابن خاتمة مؤلف الكتاب :

عاش ابن خاتمة فى مملكة غرناطة فى القرن الثامن الهجرى وهو عصر برز فيه نفر غير قليل من مشاهير الأدباء أمثال لسان الدين بن الخطيب وابن زمرك وشاعرنا ابن خاتمة وغيرهم .

وقد ولد ابن خاتمة فى مدينة «المرية» وهى ثغر من ثغور الأندلس الشهيرة ، أنشأها عبد الرحمن الناصر سنة ٣٣٤ هـ . وقد ورد اسم ابن خاتمة ونسبه كاملا على صدر الورقة الأولى من كتاب رائق التحلية مثبتا بخطه فى صورة إجازة لتلميذه ابن زرقالة . وجاء اسمه على هذا النحو : ــ أحمد ابن على بن محمد بن على بن محمد بن خاتمة الأنصارى ، المرينى الأندلسى ابو جعفر .

ويحتل ابن خاتمة منزلة رفيعة عند أصحاب التراجم ولا سيما لسان الدين ابن الخطيب الذى ترجم له فى كتابيه «الإحاطة» و «الكتيبة الكامنة» فقال عنه فى الإحاطة : «هذا الرجل صدر يشار إليه ، طالب متفنن ، مشارك قوى الادراك ، سديد النظر ، قوى الذهن ، موفور الأدوات ، كثير الاجتهاد ، معين الطبع ، جيد القريحة ، بارع الخط ، ممتع المجالسة ، حسن الخلق ، جميل العشرة ، حسنة من حسنات الأندلس ، وطبقة من النظم والنثر ، بعيد المرقى فى درجة الاجتهاد ، وأخذه بطرق الإحسان ، عقد الشروط ، وكتب عن الولاة ببلدة ، وقعد للاقراء ببلده ، مشكور السيرة حميد الطريقة ، فى ذلك كله » . (١)

---

(١) الاحاطة فى أخبار غرناطة ١–٢٤٨ تحقيق محمد عبد الله عنان طبعة دار المعارف بمصر .

كما احتفى به ابن الخطيب فى «الكتيبة الكامنة» فقال عنه : «(وأما الأدب فهو فيه الحجة التى لا تجهل ، والمحجة التى قصدها الأسهل ، مطولاته بحور زاخرة) ، ومقطوعات درر فاخرة ، ورسائله للرياض ساخرة ، وللنجوم الزهر مفاخرة» (١)

وفى كتاب الاحاطة إشارات لشيوخ ابن خاتمة مثل أبى الحسن على ابن محمد بن أبى العيش المرى ، وأبى إسحاق ابراهيم بن العاصى التنوخى ومن أشهر شيوخه أبو البركات بن الحاج الذى سمع عليه الكثير وأجازه إجارة عامة وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن شعيب القيسى والقاضى ابن فركون وغيرهم (٢) .

كما تتلمذ على ابن خاتمة جلة من العلماء ومنهم ابن زرقالة جامع كتاب «رائق التحلية» . وتوفى ابن خاتمة فى سنة ٧٧٠ هـ .

(١) الكتيبة الكامنة فى من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة تأليف لسان الدين بن الخطيب تحقيق د. إحسان عباس ط. دار الثقافة بيروت . ص ٢٣٩ .

(٢) الإحاطة ١-٢٤٩ .

مؤلفاته :

لم يكن ابن خاتمة شاعراً فحسب بل كان – إلى جانب ذلك – كاتباً وفقيها ومصنفا . ومن مؤلفاته :

١ – ديوان شعر : وهو مطبوع بتحقيق الدكتور محمد رضوان الداية وقد كتبه ابن خاتمة بخط يده وقسمه إلى أربعة موضوعات هى :

١ – المدح والثناء .

٢ – النسيب والغزل .

٣ – الملح والفكاهات .

٤ – الموشحات والأزجال .

ويعكس شعره بصفة عامة الذوق الذى كان سائداً فى عصره سواء من حيث الميل إلى النظم فى موضوعات معينة أو من الناحية الفنية كالميل إلى الصنعة وتوليد المعانى وتطلب الصور الجديدة الوقوع فى أسر التوريات وغيرها من الفنون البديعية .

٢ – كتاب مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية :

وهو مفقود ولكن يتضح من اسمه أنه يسير فى فلك الكتب الأندلسية المهتمة بإفراد مدينة معينة بتاريخ مستقل مثل كتاب «الإحاطة» فى أخبار غرناطة «لابن الخطيب» وكتاب أدباء مالقة لابن عساكر ، وفى نفح الطيب فقرات مطولة نقلها المقرى عن كتاب مزية المرية لابن خاتمة .

٣ – كتاب رائق التحلية فى فائق التورية :

وهو النص الذى ننشره محققا .

وصف المخطوطة :

اعتمدنا فى تحقيقنا على نسخة مصورة عن مخطوطه الاسكوريال وتحمل رقم (٤١٩) وصورت فى عام ١٩٤٩ وتوجد نسخة مصورة منها بمكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية برقم «١٧٦١ م) وهى التى عولنا عليها فى التحقيق .

وتقع هذه المخطوطة فى تسع ورقات ، وهى مكتوبة بخط مغربى وكان الفراغ من نسخها فى الخامس عشر من جمادى الأولى عام أحد وستين وسبعمائة للهجرة أى قبل وفاة ابن خاتمة بتسع سنوات .

والمخطوطة نسخة موثقة ، فعلى غلاف الورقة الأولى نجد العنوان (كتاب رائق التحلية فى فائق التورية) ، ونجد اسم جامعها فى نسب طويل وهو (أحمد بن محمد ابن على بن أحمد بن على بن أحمد بن محمد بن على بن أبى القاسم ابن أحمد ابن على بن زرقالة) .

ونظفر على الغلاف نفسه بإجازة ابن خاتمة – بخط يده – لتلميذه ابن زرقالة برواية هذه الأشعار حيث جاءت الإجازة على هذه الصيغة : «وأذنت له – يقصد ابن زرقالة – فى روايتها عنى إن أحب ذلك» .

وذكر اسم الناسخ أيضا وهو (جعفر بن أحمد بن مشتمل الأسلمى) ، كما ذكر اسم متملك النسخة وهو أمير المؤمنين أبو فارس المرينى .

ابن زرقالة المصنف :

والمعلومات التى بين أيدينا عن ابن زرقالة المصنف ضئيلة ، ولكننا نجد ترجمتين فى «درة الحجال» لعلمين من أعلام أسرة المصنف ، أحدهما جده ، والآخر جد أبيه .

أما جده فهو «على بن أحمد بن على القيسى . من أهل المرية ، يعرف بابن زرقالة ، قرأ على أبيه الفقيه أبى جعفر أحمد ، وتأدب به ، وكتب بين يديه الوثائق ، وعليه تمرن فى عقد الشروط ، وعلى الشيخ الفقيه أبى القاسم ابن خضر بن محمد خضر ، وأخذ القراءات عن الخطيب أبى جعفر الترياسى وعن أبى الحسن الغافقى الشارى كتاب «الشهاب» للقضاعى ، و «فصيح ثعلب » وطائفة من رسالة أبى محمد بن أبى زيد ، وتفقه عليه فى بعضها ، وقرأ عليه أكثر موطأ مالك ، وكان من أهل المعرفة والبصر بالتوثيق . ولد سنة ٦٢٥ وتوفى فى خامس شعبان سنة ٦٩٩ هـ» (١)

(١) درة الحجال فى أسماء الرجال تأليف أبى العباس أحمد محمد المكناسى الشهير بابن القاضى ، تحقيق د. محمد الأحمدى أبو الأنوار ، نشر المكتبة العتيقة بتونس ودار التراث بالقاهرة خاص ٢٣٢ – ٢٣٣ ترجمة رقم (١٢٥١) .

أما جد أبيه فهو «أحمد بن على بن أحمد بن محمد بن على بن أبى القاسم ابن أحمد بن على القيسى . من أهل المرية ، وبيته بها بيت عفة وعلم ، يكنى أبا جعفر وأبا العباس . ويعرف بابن زرقالة .

كان من صدور العدول بالمرية ، ومن شيوخ الموثقين بها ، فاضلا أديبا له حظ من قرض الشعر ، وتقدم للشهادة بها بتقديم أميرها أبى عبد الله ابن الرميمى ، وناب بالمرية عن قاضيها ، وكان حسن الخط ، ويضرب به إلى الخط المشرقى وترك التوثيق فى آخر عمره . أخذ القراءات عن الأستاذ أبى محمد : عبد الله بن محمد الرهان ، وعن الخطيب أبى عبد الله : محمد بن لب بن الصائغ الأبى ، وقرأ عليه موطأ مالك بن أنس ، وتفقه عليه فى رسالة الشيخ أبى محمد ، وأجاز له الرئيس المحدث أبو عثمان : سعيد بن حكم القرشى المنورقى وغيره ، كان مولده فى السابع والعشرين لرجب سنة ٦٠١ وتوفى بالمرية سنة ٦٨٣ هـ» (١) .

وأورد له صاحب «درة الحجال» أبياتا من نظمه يهنىء بها ابنه الفقيه أبا الحسن بمولود . (٢)

وتدلنا هاتان الترجمتان على أن المصنف كان ينتمى إلى أسرة عريقة فى العلم فأجداده من جلة الفقهاء وقد توارثوا العلم جيلا بعد جيل ، وكان الابن منهم يقرأ على أبيه ويتأدب به ، ونرجح أن ابن زرقالة المصنف حذا حذو آبائه ، فأخذ عنهم الفقه والقراءات ، ونشأ شغوفا بالأدب ، وربما كان له نصيب من قرض الشعر وان كان لم يصلنا شىء من ذلك .

---

(١) درة الحجال ١–١٢٠ ترجمة رقم (١٤٩) .

(٢) نفسه ١–١٢٠ .

وقد صدر ابن زرقالة كتابه بمقدمة أشار فيها إلى شغفه بالأدب فقال «وكان لى بمحاسن الأدب شغف، وباقتناء جواهره طلب أتشبث به تشبث الولد بالوالد ، والموصول بالصلة والعائد..»

ونتعرف من مقدمته للكتاب على خصائص أسلوب ، فهو مغرم بالبديع شغوف بضروبه وألوانه ، ويؤثر السجع فى كتابته جريا على طريقة كتاب عصره ، ويحشد فى مقدمته كثيراً من التوريات التى تؤكد شغفه بهذا الفن البديعى .

ويتحدث ابن زرقالة عن أستاذه ابن خاتمة بإعجاب فيقول :

«وكان شاعر عصرنا ببلدنا هذا — عصمه الله — الذى رفع سماء الأدب وبناها ، ومهد أرض الشعر ودحاها ، فتنفس عنه صبح البيان ، وانبجس من سحاب علمه قطره الهتان ، وسبحت له قلوب الأدب بحباتها ، وألقت إليه بأفذاذها وثباتها ، فجرى مع الإحسان فى طلق مرير ، وكان له فيه شأو بعيد ..»

.ويفهم من كلام ابن زرقالة فى مقدمة الكتاب أنه لشغفه بفن التورية سأل أستاذه وشيخه ابن خاتمة أن ينشده ما وقع له فى هذا الفن من أبيات إلى طلبه ، يقول : «وكانت التورية من محاسن الشعر ، تشهد لصاحبها بجلالة القدر ، وتحل من النفوس محل النور من الرياض ، والسحر من الحدق المراض ، وتمتزج بالأرواح امتزاج الماء بالراح ، لبهجة معناها ورحب مبناها ، ودقة اشاراتها ، ورقة عبارتها ، استنشدته — أبقاه الله — ما وقع له من المنظومات فيها ، ورغبت منه أن يسقينى حميعها ويستوفيها ، فأجابنى إلى ذلك عملا على شاكله فضله ، وما يليق من التخلق بكريم محله» .

كما يفهم من نص آخر ورد فى خاتمة الكتاب ان ابن زرقالة هو الذى سمى الكتاب بهذه التسمية وأنه وثق نصوصه بمراجعتها وتصحيحها على ناظمها يقول «وهنا كمل ما أنشدنيه لنفسه من نظمه من البديع فى أسلوب التورية من ألقاب البديع وسميته برائق التحاية فى فائق التورية ، وقد صححته على ناظمه أنمى الله فخره وأبقى ذكره ، ليكون أوثق فى روايته وحمله ، وأصح لمبتغى تقييده ونقله» .

والكتاب مقطعات قصيرة لا تتجاوز البيتين فى معظم الأحيان ، وبعضها أبيات مجتزة من قصائد ، ويحتوى الكتاب على خمس وستين مقطعة وعدد أبياتها ١٨٣ بيتا وتنفرد كل قطعة بتورية يستمد ابن خاتمة مادتها من ثقافته اللغوية والأدبية والفقهية ، ويستهل ابن زرقالة كل مقطعة بقوله : «أنشدنى مقترنه بجملة دعائية نحو :«انشدنى أدام الله حياته » أو «أنشدنى أبقاه الله تعالى» .. الخ .

ويعمد ابن خاتمة إلى الإكثار من الإشارات النحوية واللغوية فى توریاته مثل قوله :

قلت والشعر يشى فى خده ... لام جسن سهلت لومى على
بحياة الحب كونى للرضا ... لام جر لا تكونى لام كى

وقوله :

سفهى عاذلى عليه ... وقال لى وده عليل
فقلت : معتل أو صحيح ... يلقيه فى عينه الخليل

ويورى بكتاب «العين» للخليل وبصحاح الجوهرى فيقول :

ولقد أقول لصاحبى ولحاظه ... فى ثغر من أهواه ذات تجمر
يا من يقابل نظمه ماذا دعا ... «عين» الخليل إلى «صحاح» الجوهرى

ويكثر ابن خاتمة من التورية بالمذاهب الفقهية كقوله :

من شافع لى عند مالك مهجتى ... مالى سوى حبى وليس بنافع
فمن المحقق أن مذهب «مالك» ... لا تستقيم لديه حجة «شافع»

ويقتبس أيضا من الشعر القديم كقوله :

يقولان : أقصر قد أضربك البكا ... وهل عند رسم دارس من معول
مضى الحب والقلب الذى فيه قد ثوى ... «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل»

ويورى بالموشحات والأزجال فيقول :

وبديعة الأوصاف يندى جسمها ... ترفا ولكن قلبها لم يرشح
من ضمها عملت عليه حليها ... عرسا بأزجال وشدو موشح

ويستمد توریاته من بحور الشعر العربى كقوله :

خضوع «طويل» ودمع سريع» ... وخد «بسيط» وشجو «مديد»

أهمية المخطوطة وقيمتها الأدبية :

يعد كتاب «رائق التحلية فى فن التورية» من النصوص الأدبية النادرة التى لا نظفر بها فى المصادر الأندلسية الأخرى . وتكمن قيمته فى أن ما فيه من شعر لم يرد فى ديوان ابن خاتمة .

ويختص كتاب «رائق التحلية» بفن بلاغى هو فن التورية وهذا فى حد ذاته يمنحه قيمة أخرى لأنه يصور الذوق الأدبى والبلاغى الذى كان سائداً فى الأندلس فى القرن الثامن الهجرى .

كما يشير الكتاب إلى بعض صلات ابن خاتمة بمعاصريه مثل شيخه القاضى الخطيب أبى البركات ابن الحاج وأبى جعفر بن عبد الحق المالقى وأبى القاسم الحسنى وأبى القاسم عبد الله رضوان وغيرهم . كما نجد فيه إشارات لمشاركة ابن خاتمة فى بعض المناسبات الرسمية مثل وفوده على الحضرة لحضور الإعذار الإمارى ، ودعوته إلى مأدبة بجنان الوزير أبى عبد الله الخطيب بعين الدمع خارج غرناطة ، ومبينه بحضرة غرناطة فى منزل قاضى الجماعة أبى القاسم الحسنى وتحت ضيافته . وهذه الإشارات لها أهميتها للمهتمين بأخبار ابن خاتمة وشعره .

وفضلا عن ذلك فإن نشر أو تحقيق أى نص مخطوط — مهما صغر حجمه يحمل قيمة فى ذاته لأنه يصلنا بتراثنا العربى الأصيل .

كتاب

رائق التحليه فى فائق التوريه

من شعر

ابن خاتمة الأنصارى

جمع وتصنيف

أبو جعفر أحمد بن زرقالة

بسم الله الرحمن الرحيم — صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

قال الفقيه الجليل الوزير الحسيب الأصيل . الماجد ، الفاضل ، المجيد الأديب ، الشاعر ، الماهر ، والناظم الناثر الأكمل أبو جعفر أحمد أبن الشيخ الفقيه الوزير الحسيب الفاضل الصالح الأرفع الأكمل أبي عبد الله بن زرقالة أعزه الله (آمين) .

الحمد لله الذى خص هذه الأمة باللسان العربى المبين ، والبيان المتبلج الغرة الوضاح الجبين ، فهصروا من ثمراته الدانية القطوف بفنن مائل ، وتفيئوا ظلالها عن دور الإيمان والشمائل ، وتحلوا من برودة الباهرة بأشرف الحلى ونهلوا من موارده العذبة فى مشارع العلى فضلا من الله ونعمه ، ولطفا منه سبحانه ورحمة ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم الذى آتاه جوامع الكلم ، حياه ببدائع الحكم . فجلا بنور بيانه سدفة كل مشكل حتى وضح وظهر ، وجلا صور المعانى على منصات الألفاظ سافرة الغور ، ورضى الله عن آله الذين تبعوا سننه القويم ، وصراطه المستقيم .. وبعد

فلما كان الأدب حلية العرب الذى إليه انتهت وفصاحتها ، وبه ظهرت رجاحتها ، وكان الشعر منه بمنزلة الروح من الجسد والقلب من الكبد ، فهو طراز برده ، ووسطى عقده ، ولم يزل الناس خلفا عن سلف يتوارثونه ويتبعون نهج العرب ويقتفونه ، هذا وان كانوا لا ينتجعون به الا من واديهم ولا يستمطرون الا من غواديهم ، فلم يخل كل عصر من شاعر يكون شعراء زمانه عيالا عليه ، ويحتاج (١) كل منهم إليه ، تتحلى الأيام من نظمه بأنفس

---

(١) غير واضحة بالأصل ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

من حلى الليالى ، وتثبته .. (١) بمفرق المعالى ، وكان شاعر عصرنا ببلدنا هذا — عصمه الله — الذى رفع سماء الأدب وبناها ومهد أرض الشعر ودحاها فتنفس عنه صبح البيان ، وانبجس من سحاب علمه قطره الهتان وسبحت له قلوب الأدب بحباتها ، وألقت إليه بأفذاذها ؟(٢) وثباتها ، فجرى مع الإحسان فى طلق مريد ، وكان له فيه شأو بعيد ، شيخنا الأستاذ المتفنن الجليل ، المصنف الأعرف المثيل ، مشيد بنيان الأدب ، الذى أسس معالمه ، أبو جعفر أحمد بن خاتمة ، أبقى الله بيت معارفه وآوتاده غير معتلة وأسبابه سالمة (٣) ، وكان لى بمحاسن الأدب شغف ، وباقتناء جواهره كلف ، أتشبث به تشبث الولد بالوالد والموصول بالصلة ، والعائد (٤) وأقصد غرب شئونه واعتمد أبكاره دون عونه وأتشوف للاستعلام منه على ما لم تمزق الأيام بردته ، وتخلق الأقلام جدته ، والاستمتاع بدره لأول خروجه من أصدافه ، وبزهرة لأول ظهوره فى ألفافه ، وكانت التورية من محاسن الشعر ، تشهد لصاحبها بلاله القدر ، وتحل من النفوس محل النور من الرياض ، والسحر من الحدق المراض ، وتمتزج بالأرواح امتزاج الماء بالراح لبهجة معناها ، ورحب مبتاها ، ودقة إشارتها ، ورقة عبارتها استنشدته — أبقاه الله — ما وقع له من المنظومات فيها ، ورغبت منه أن يسقينى جميعها ويستوفيها ، فأجابنى إلى ذلك ، عملا على شاكله فضله ، وما يليق من التخلق بكريم محله .

---

(١) مطموسه بمقدار كلمة .

(٢) لعلها (بأفرادها) .

(٣) يورى ببعض مصطلحات علم العروض .

(٤) يورى ببعض مصطلحات علم النحو .

(١)

فمما أنشدنيه فى ذلك : (الكامل)

من شافع لى عند مالك مهجتى مالى سوى حبى وليس بنافع
فمن المحقق أن مذهب مالكى لا تستقيم لديه حجة شافع

(٢)

وأنشدنى أيضا — أبقاه الله تعالى : (الكامل)

ومحكم اللحظات فى مهج الورى تحكيم نار هواه بين جوانحى
جرح الفؤاد فطار من ولع به كيف الخلاص لطائر من جارح

(٣)

وأنشدنى أيضا — أدام الله حياته : (الطويل)

أجاذ به بالفكر فهو منادمى على الدهر لا أبغى عليه بديلا
تملك قلبى فهو رهن اعتقاله فمن شاء يبصر «مالكاً» «وعقيلا»

(٤)

وأنشدنى أيضا — أبقى الله عافيته : (١) (الكامل)

ومعطر الأنفاس يبسم دائما عن در ثغر زانه ترتيب
من لم يشاهد منه عقد جواهر لم يدر ما «التنقيح» «والتهذيب» (٢)

(٥)

وأنشدنى أيضا — رفع الله قدره — : (الرمل)

قلت والشعر يشى فى خده لام حسن سهلت لومى على
بحياة الحب كونى للرضا لام جر لا تكونى لام كى

(٦)

وأنشدنى أيضا — أنسا الله فى أجله — : (الطويل)

تباين فى القول قد مات لم يمت وظاهر حالى فى حياتى مشكك
بعيشك قل كيف أقتل مسلما ويشرك غيرى فى الورى ثم يترك

---

(١) وردت فى نفح الطيب دون خلاف ، أنظر نفح الطيب ٥ — ٥٣٧ .

(٢) يورى باسمى كتابين من كتب الفقه .

(٧)

وأنشدنى أيضا ــ أعلى الله درجته ــ (١) :

سفهنى عاذلى عليه وقال لى : وده عليل
فقلت : معتل أو صحيح يلقيه فى عينه الخليل(٢)

(٨)

وأنشدنى أيضا ــ أعزه الله تعالى ــ : (الكامل)

وافى ومن أثر المداد على خديه مثل شفاهه اللعس
قالوا ألم تر كيف صورته فاذا به فى صورة الشمس

(٩)

وأنشدنى أيضا ــ نفع الله تعالى به ــ : (البسيط)

وشادن باكر الكتاب محتضناً للوحة ظاهراً فى صورة القمر
سألته ياحبيبى ما بلوحك قل فقال لى : إننى فى سورة القمر

(١٠)

وأنشدنى أيضا ــ دامت حياته أمداً طويلا ــ : (الكامل)

يارب أرمد للضنا بجفونه أثر وفى أنفاسه أوجال
كحل العشا عن ناظرى بجماله ومن العجائب أعمش كحال

(١١)

وأنشدنى أيضا ــ وصل الله رفعته ــ : (الكامل)

ولقد أقول لصاحبي ولحاظه فى ثغر من أهواه ذات تجمر
يا من يقابل نظمه ماذا دعا غير الخليل إلى «صحاح» الجوهرى؟

---

(١) وردت فى نفح الطيب ٥ــ٥٣٧

(٢) فى رواية النفح : يودعه عينه الخليل .

(١٢)

وأنشدنى أيضا — حرسه الله جلاله — : (الكامل)

يقولان أقصر قد أضربك البكـــا «وهل عند رسم دارس من معول»(١

مضى الحب والقلب الذى فيه قد ثوى «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل»

(١٣)

وأنشدنى أيضا — دام سعده — :

دارســـت قلبى الصبر أعتـــده عن «عاصم» لى منك أو «نافع ؟» (٣)

فلم يكن يرفع مـــا حـــل بى ورب فعل ليس بالرافـــع

ظل بى المذهب يـــا مـــالكى فهل لهذا الوجـــه من شـــافع (٤)

(١٤)

وأنشدنى أيضا — أنماه الله تعالى — : (الطويل)

يقولون ولى حســـنه بعـــذاره كأنى لا أدرى على البعد ما جرى

وهل هو الا الحسن رف نعيمه فأورق ريحـــان الخدود وأثمرا

دعوا القلب يفنى فى العذار فنونه أخو الجهل لا يلوى على من تعذرا(٥)

(١٥)

وأنشدنى أيضا — رفع الله مجده — : (الطويل)

ألا إن حالى فى هواك خفيـــه ولكن لعينى بالصبابة تبريح

عجبت لدمعى لا يزال مرويا فيقبل فى آثاره وهو مطروح

وأعجبت من ذا أن خدى شاهد يصدق فى أقواله وهو مجروح (٦)

---

(١) يضمن عجز بيت أمرىء القيس :

وإن شفائى عـــبرة مهراقـــة ـ وهل عند رسم دارس من معـــول

(٢) يضمن صدر مطلع معلقة امرىء القيس .

(٣) يورى بـــ «عاصم» و «نافع» وهما من القراء السبعة .

(٤) يورى باسمى مالك والشافعى .

(٥) هنا موضع التورية ، فقوله «تعذرا» تنسحب على «العذار» و«العذر» .

(٦) يورى بمصطلحات الحديث .

(١٦)

وأنشدنى أيضا — والى الله لديه آلاءه — : (الخفيف)

غمز لحظ وكسرة فى اللســـان ألبســـانى للســـقم مـــا ألبسانى
نظـــرتنى فـــأنذرتنى بحينى ودعتنى فـــأودعتنى لشـــانى
كيف يرجو المشوق جبر فؤاد بين كسر اللســـان والأجفـــان

(١٧)

وأنشدنى أيضا — حفظ الله مكانه — : (الطويل)

إذا ما النوى أذكت بقلبى جمرة فهاج لها بين الضلوع غليـــل
برزت لاستشفى نســـيم ربوعهم إذا هب بالأسحـــار وهو بليل
ومن أعجب الأشـــياء وهو تعلل طبيب يداوى الناس وهو عليل

(١٨)

وأنشدنى أيضا والى الله سعده مما قاله شافعا إلى شيخنا القاضى الأستاذ العلامة الأوحد أبى البركات ابن الحاج (١) أبقعى الله بركته فى امرأة أمر بسجنها بسبب دخولها الحمام غير مستترة وقد كان أمره خرج بالاشتداد فى ذلك : (السريع)

يـــا قاضيـــا أصبح ذا ســـيرة بكل عدل فى الورى ســـارية
ســـحك فى جـــارية ثقفت ليست على حكم الهدى جـــارية
وأعجب لمـــا جاء بـــه وقتنـــا مؤتزر يشـــفع فى عـــارية

---

(١) يورى بالجبر والسر .

(٢) هو محمد بن محمد بن ابراهيم ابن الحاج البلفيق السلمى أحد شيوخ ابن خاتمة كما كان شيخاً للسان الدين بن الخطيب وقد توفى أبو البركات ابن الحاج سنة ٧٧١ هـ وقيل فى سنة ٧٧٣ هـ . وقد ترجم له المقرى فى نفح الطيب وذكره فى مواضع عديدة وتوجد ترجمة له فى الإحاطة ٢ — ص ١٠١ ، والكتيبة الكامنة ص ١٢٧ ، والديباج المذهب ص ١٦٤ ، والمرقبة العليا ص ١٦٤ .

(١٩)

وأنشدنى أيضا ــ أبقاه الله ــ مما طرز به بعض الملابس السلطانية : (الكامل)

أنا فوق عطف الملك أسعد ملبس ... فمن اكتسانى فالسلامة قد كسى
حاكتنى الأيدى سماء زواهر ... ورياض أزهار وخلعة سندس
عزاً لسلطان لعزة ملكه ... فازدانت الدنيا برغم الحندس
ماذا على ولا بسى بدر الدجى ... أن لا أرى فوق الجوارى الكنس

(٢٠)

وأنشدنى أيضا ــ أطال الله عمره ــ : (البسيط)

قابلت ياقوت خديه فأخجلـه ... منى وقد لاح طرف فيه مبهوت
فقلت خمرة خد ألهبت خجلا ... ثم انطفأ الجمر والياقوت ياقوت

(٢١)

وأنشدنى ــ أنماه الله تعالى ــ : (البسيط)

هبت مع الفجر لميعادها ... فافتضح الشارق والغارب
فجران ، ذاك الوجه أسناهما ... هل يستوى الصادق والكاذب

(٢٢)

وأنشدنى أيضا ــ زاد الله بن فضله ــ مما قال وقد نزل على «عين صنصر» منصرفة عن وادى آش قافلا من حضرة غرناطة : (الخفيف)

ما رأى عين صنصر فى صفاه ... ذو اعتبار فصد عنه بعين
مال قلبى له وليس ببدع ... فى الهوى أن يصاد قلب بعين

(٢٣)

وأنشدنى أيضا — أمتع الله ببقائه — قال : (١) قدم إلينا طعام بجنان الوزير الجليل رئيس الكتاب ونظام الفضائل والآداب أبى عبدالله الخطيب(٢) بعين الدمع (٣) ممن خارج غرناطه ، ونحن يومئذ ثلاثة نفر من الوافدين على الحضرة لحضور إلاعذار الإمازى بها : شيخنا القاضى الخطيب أبو البركات ابن الحاج (٤) والقاضى الأستاذ الفاضل أبو جعفر بن عبد الحق المالكى (٥) ومخاطبك (٦) فيمن انضاف إلينا ، فدعونا الخطيب أبا البركات إلى الطعام فتخلف لعذر الصيام ، فلما فرغنا أنشدته :

دعونـــا الخطيب أبـــا البركا ... ت لأكل طعام الوزير الأجـــل
وقد ضمنـــا فى نداه جنـــان ... به احتفل الحســـن حتى كمل
فأعرض عنـــا لعذر الصيام (م) ... ومـــا كل عذر لـــه مســـتقل
فان الجنـــان محـــل ثواب (٧) ... وليس الجنـــان محـــل عمـــل

«فقال شيخنا القاضى أبو البركات : لو أنشد تنيها والطعام حاضر لأكلت(٨) معكم احتيازاً للطرب ، واسترسالا مع أريحيه الأدب ، أبقى الله بركته »(٩)

---

(١) ورد هذا الخبر مختصراً فى الاحاطة ١—٢٦٠ كما وردت الأبيات فى نفح الطيب ٦—٣٨ والكتيبة الكامنة ص ٤٥)

(٢) هو لسان الدين بن الخطيب (٧١٣ — ٧٧٦ هـ) الكاتب والأديب والوزير والمؤرخ الشهير .

(٣) عين الدمع : منتزه معروف بغرناطه (أنظر الإحاطة ١—١٢٧ — ١٣٨) .

(٤) سبقت ترجمته

(٥) ترجم له ابن الخطيب فى الاحاطة ١—١٨٦ وذكر أنه من أهل مالقة وأنه ولى خطة القضاء بهـــا .

(٦) يقصد ابن خاتمة .

(٧) فى الاحاطة : محل الجزاء .

(٨) تكررت هذه اللفظة مرتين سهواً من الناسخ .

(٩) جاء فى الاحاطة : «وعندما فرغنا من الطعام أنشدت الأبيات شيخاً أبا البركات فقال : «لو أنشدتنيها ، وأنتم بعد لم تفرغوا منه ، لاكلت معكم براً بهذه الأبيات والحوالة فى ذلك على الله تعالى » أنظر الإحاطة ١—٢٦٠

(٢٠)

وأنشدنى أيضا ــ زاده الله فى العلم بسطة ــ قال : بتنا بحضرة غرناطة فى منزل السيد الشريف قاضى الجماعة وخطيب الحضرة وقدوة الجلالة أبى القاسم الحسنى (١) حرس الله كماله ــ وتحت ضيافته ، وشيخنا القاضى الأستاذ أبو البركات (٢) وصاحبنا القاضى العدل أبو اسحق بن شعيب (٣) فأنشدت السيد الشريف صبيحة تلك الليلة :

(الخفيف)

من يبت ضيف آل بيت على ... بـــات من برهم كـ.أهل البيت
إن يكونوا فى الناس بيت قصيد ... فالشريف الشريف معنى البيت

(٢٥)

وأنشدنى أيضا ــ حفظه الله رتبته ــ : (الطويل)

أروم تشـــكى تيهكم فتصدنى ... دموع لهـــا من دون رؤيتكم ستر
وكيف بصبر الصب عمن يحبـــه ... وقد حـــال تيه دونه وطما بحر

(٢٦)

وأنشدنى أيضا ــ بلغه الله أمانيه ــ : (الخفيف)

مـــا على من به سقامى وبرئى ... وهـــو فى الحـالتين عنى لاه
لو رثـــا لى إذ أرعف الجفن منى ... لشـــفاه عقيق تلك الشـــفاه

(٢٧)

وأنشدنى أيضا أدام الله فخاره ــ : (المتقارب)

أراعى درارى زهر الريـــاض ... وقد لحن فى صفرة وابيضاض
ولا غرو أن يعتنى بالنجـــوم ... من كان يعنى بشـــغل الرياض

---

(١) ترجم له ابن الخطيب فى الاحاطة ٢ــ١٨١ ومابعدها وكان قاضياً ، كاتباً ومولده سنة ٦٩٧ هـ واشتهر بشرحه لمقصورة حازم القرطاجنى .

(٢) مرت ترجمته .

(٣) لم أقف له على ترجمة .

(٢٨)

وانشدنى أيضا وصل الله عزته : قال كتت إلى الفقيه الأجل رئيس صاحب القلم الأعلى بالديوان السلطانى بالمغرب أبو القاسم عبد الله بن رضوان(١) وهو يومئذ بالمرية يستدعى منى ديوان نظمى ، ووجه بها مع رجل ممن تقلد حفاظه الديوان الاشتغالى ، (٢) موريا بذلك : (الكامل)

ديوان نظمك مطلبى فـــا سمع به ... لأرى انتظام الحسن بالإحســـان
ولقد علمت بأن قصدك حفظه ... فبعثت نحوك حـــافظ الديوان (٣)

فكتبت مجيبا على البديهة ووجهت بها مع ديوان نظمى صحبه رسوله : (الكامل)

يـــامهديا ريحـــانتين أنـــالتا ... بصرى وسمـــعى بهجـــة ولسانى
مستدعيا نظمى ومـــا نظمى لمـــا ... يبدى ولو أنى بديـــع زمـــانى
إن كنت قد أهديتها روحـــا فلا ... عجب : جنان جاء من رضوان (٤)

(٢٩)

وأنشدنى أيضا ــ أعلى الله مقداره ــ موريا بالنجاح من الآت الغناء : (الطويل)

دعـــا بجناح ثم سواه وانثنى ... يحـــيل به للقصف أى قداح
فطار إليه القلب من طرب به ... وليس ببدع طـــائر بجنـــاح (٥)

---

(١) هو أبو القاسم عبد الله بن رضوان ، أديب مالقى ، وفقيه بارع ، درس فى تونس وتقلد وظائف عدة فى بلاد بنى مرين ، وتوفى سنة ٨٧٨٠هـ . أنظر نفح الطيب ٨-٢١٤ - ٢١٩ ، أزهار الرياض ٢-٣٤٥ ، ٣-١٩٦ .

(٢) عرف دوزى فى ملحقة الديوان الاشتغالى بأنه يشبه الإداره المالية (أنظر ملحق دوزى للمعاجم العربيـــة) .

(٣) هنا موضوع التورية

(٤) يورى باسم رضوان المالقى صاحبه ، وباسم (رضوان) حارس الجنة .

(٥) يورى بلفظة (الجناح) حيث تنسحب على آلة الغناء وعلى جناح الطائر .

(٣٠)

وأنشدنى أيضا — نفع الله به : (البسيط)

من لى به شف أو شفـــا كبدى فهجتنى منه بعض راء المرء
أعضـــاء جسمى عليـــه تالفة وفى اللمى منـــه حيـــلة البرء

وأنشدنى أيضا حفظه الله جلاله وتنشد على ثلاث قواف :

(٣١)

وأنشدنى أيضا حفظه الله جلاله وتنشد على ثلاث قواف :

مـــر بنـــا البرد فى بـــرود مصـــبوغة صـــبغة السماء (١)
فقـــال لى صـــاحبى مشيراً كيـــف ترى البدر فى السماء

(٣٢)

وأنشدنى أيضا دامت عافيته يخاطب القائد المعظم الماجد أبا عبد الله ابن شعيب (٢) أيام ولايته قيادة قصبة المرية وقد نزل عند الفقيه الوزير الأديب البارع أبى عبد الله بن جزى (٣) رحمهما الله بقصر خيران (٤) من القصبة فغاب عن القصر لمقامه عنده . قال : قد منى الوزير أبو عبد الله للاعتذار عنه فقلت ؛ : (الطويل)

لفضلك عذر فى المغيب عن القصر لمن لا يجيز البعد عنه بلا قصر
وإن مد مقصور النوى لضرورة فمن بعد ذاك المـــد يرجع للقصر
وهل ذا وذا الا محلك سيدى فعندك يلغى حالى المد والقصر (٥)

---

(١) القوافى الثلاث كما وردت بالأصل هى : السماء — الغمام — السحاب .

(٢) لم أعثر له على ترجمة .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن القاسم بم جزى الفقيه ، الكاتب ، توفى بفاس سنة ٧٥٨ هـ أنظر (نثير فرائد الجمان ص ٢٩٢) .

(٤) قصر بالمرية بناه خيران العامرى (الروض المعطار ٥٣٨) .

(٥) يورى بالمد والقصر وهما من مصطلحات علم الصرف وينسحبان على البعد والقرب .

(٣٣)

وأنشدنى أيضا ــ زاده الله عزة ورفعة : (السريع)

وألثغ فى الطـــاء (١) هاج الهوى فهل «حبيب» ليس بالطـــائى (٢)
لا تعجبوا إن مـــال قلبى له فشـــأنه إمـــاله الـــراء

(٣٤)

وأنشدنى أيضا ــ وكل الله سيادته قال : خرجنا فى جمع من الطلبة من المرية برسم واديها فنضحتنا غمامة تجهم عنها وجه الأفق فكان بعض الأصحاب انقبض لذلك فقلت معتذراً عن ذلك الشأن وناظمها له فى معرض الاستحسان : ؟(الطويل)

وروضات آداب تداعوا لروضة جلتها الغوادى فى لجين وفى عين
تجهم وجه الأفق إذ برزوا له وفى ذاك عذر ليس يخفى لذى عين
تخوف عين الشمس تعدو عليهم فعوذهم بالمرســلات (٣) من العين
وحاذر عين الأنس تعدى جمـــالهم فتابع منه الغيث رقياً من العين (٤)

(٣٥)

وأنشدنى أيضا ــ أصعده الله إلى مراقى الأبرار : (الطويل)

تعلقته فى ملعب الخيـــل ترتمى به عن شهاب للقلوب مصيب
تسربل أثواب البســـالة داعيـــاً «نزال» ومـــا قرن لـــه بنجيب
فمـــالى لا أبغى «الحماســـة» مؤثراً لأشعارها وهى اختيار «حبيب» (٥)

---

(١) جاء فى لسان العرب مادة (لثغ) «اللثقة أن تعدل الحرف إلى غيره . والألثغ الذى لايستطيع أن يتكلم بالراء وقيل هو الذى يجعل الراء غينا أولاماً أو يجعل الراء فى طرف لسانة ، أو الصاد فاء وقيل هو الذى يتحول لسانه عن السين إلى الثاء» .... وقيل هو الذى لسانه عن موضع الحرف ولحق موضع أقرب الحروف من الحرف الذى يعثر لسانه عنه» .

(٢) يورى بأبى تمام الطائى واسمه (حبيب بن أوس) ويرجح ذلك ذكره لفظة (حبيب) قبلها .

(٣) يورى بسورة (المرسلات) .

(٤) يورى بالرقى والتعويذ .

(٥) يورى بكتاب «الحماسة» اختيار أبى تمام .

(٣٦)

وأنشدنى أيضا ختم الله له بالسعادة : «(الخفيف)

بى فتـــاة جرت لقتلى قوســـا بربابٍ حيـــا الا له الربـــابا
شـــاقنى صوته وماذا على من ظل يهوى من القيـــان الربـــابا

(٣٧)

وأنشدنى أيضا قضى الله له بالحسنى والزيادة : (الرمل)

مـــا طيبة الدنيا ســـوى ظبية تنقدح المهاة عنهـــا انقـــداح
كأنمـــا ضـــاربها إذ شـــدا يحيـــل للأنس عليهـــا قـــداح
قد حاز من قلبى أعشـــاره فهـا فعلى صـــوتها حين باح

(٣٨)

وأنشدنى أيضا — أمتع الله به : (الطويل)

عذيرى من ساجى اللواحظ فاتن غداً حسنه من سحره آية بدعا
إذا القلب ألقى للعزاء حبالـــه تلقفها من صدغه حية تســـعى (١)

(٣٩)

وأنشدنى أيضا — حرس الله وجوده : (المتقارب)

يشوق فؤادى زهر الريـــاض إذا لاح فى صفرة وابيضاض
أراعى بـــه أنجما طـــالعـــات إذا ما سمت آذنت بانقضـــاض
ولا غرو يعنى مشوق الفـــؤاد برعى النجـــوم وشـــغل الرياض

(٤٠)

وأنشدنى أيضا — أبقاه الله تعالى : (الكامل)

وبديعة الأوصـــاف يندى جسمها تزفـــا ولكن قلبها لم يرشـــح
من ضمها عملت عليه حليهـــا عرسا بأزجال وشد موشح (٢)

---

(١) يورى بما جاء فى قصة موسى عن الحية .

(٢) يورى بالأزجال والموشحات اصطلاحاً ولغة .

(٤١)

وأنشدنى أيضا ــ لا برح فى نعمة شاملة : (الطويل)

أردد طرفى بين ظـــاهر روضة ومغنى غصون جيدها واضح النص
غداً ناظرى بالفحص مستعبراً وما على ناظرى يوما إذا مال للفحص

(٤٢)

وأنشدنى أيضا ــ ضاعف الله اعزازه : (الطويل)

تقول سليمى إذ رأت شيب لمتى لقد حال من ذاك الشباب سواده
وما تنكر الحسناء من خط كاتب قد ابيض من طول الكتاب مداده

(٤٣)

وأنشدنى أيضا ــ أبقاه الله من اللوبيت :

قـــالت أتحبه على عـــارضه هذا وحياتكم جنون عـــارض
لم تدر بـــأن روضـــة وجنته (١) قل كيف ترى الرياض غب العارض

(٤٤)

وأنشدنى أيضا ــ صان الله علاه ــ من قصيدة : (٢) (الخفيف)

كيف لى بالســـلو عنهـــا وقلبى قد هوى حلمه بمهوى الخوص (٣)
ما تعاطيت ظـــاهر الصبر الا ردنى جيدها بأوضح نص (٤)

---

(١) كذا وهو مختل الوزن .
(٢) ورد البيتان فى الإحاطة ١ــ٢٥٧ .
(٣) رواية الاحاطة ــ لخوص .
(٤) يورى بكلمة (النص) .

(٤٥)

وأنشدنى أيضا — سنى الله أمله من أخرى : (السريع)

إيه خليلى كم تطيـــل الكرى ليس لمـــا ضيعته مـــن ثمن
قم قد نضا الصبح خضاب الدجى وشاب فرع الليل ممـــا أسن
وهزات الورق قـــد حركت من ألفات القضب ما قد عطن(١)
فبح صـــوت الطير ممـــا شدا ومل عطف القصن ممـــا أرجحن
ومـــا على صب إذا مـــا رأى مرأى جمال لا يطيل الشجن ؟

(٤٦)

وأنشدنى أيضا أتم الله نعمته عليه من أخرى : (الطويل)

وســـائلة ما بال طرفك شاخص فقلت لشخص طرفه الدهر ناعس
إذا مارنا فالظبى غير أن كانس ومهما انثنى فالغصن حيران ناكس
عجبت لألحانها له مع ضعفها يقام لحفظ الثغر منهن حارس(٢)

(٤٧)

وأنشدنى أيضا — شكر الله افادته منها فى المدح : (الطويل)

تســـابق للمجد الكرام فبذهم كما قد شأى رجالة السبق فارس
أيشأى عقيل البخل ضنـــا بجوده وحابس مال من لهاه النفائس
وما زال معقولا عقيل عن الندى وما زال محبوسا عن المجد حابس (٣)

(٤٨)

وأنشدنى أيضا أعلى الله مقامه منها : (الطويل)

له جيش نصر قد نصا السعد دونه صوارم روع لا تنبا القوانس
إذا ما قوافى الخيل منه تداركت بأبشر بنصر بحره متكاوس (٤)

---

(١) هنا موضع التورية باستخدام الهمزات والألفات
(٢) التورية فى كلمة (الثغر) .
(٣) يورى بكلمتى عقيل وحابس .
(٤) يورى ببعض مصطلحات العروض والقافية .

(٤٩)

وأنشدنى أيضا ــ حفظ الله شأنه ، قال : لما تحدث شيخنا القاضى أبو البركات ابن الحاج بالرحلة إلى المشرق وظهرت منه عزيمة على ذلك على أن يكون وجهته فى قرقورة (١) تجهزت برسم افريقية وذلك بتاريخ السادس والعشرين لجمادى الآخره من سنة تسع وثلاثين وسبعمائة أنشدته مخاطبا له ومثبطا عن عزيمته : (٢) (الوافر)

أشمس الغرب حقــاً مــا سمعنا ... بأنك قد سئمت به (٣) الإقامة
وأنك قد عزمت على طلــوع ... إلى شرق تلوح به (٤) علامة
لقد زلزلت منــا كل حلم (٥) ... بحق الله لا تتم القيــامــة

ثم إنه اتفق من قدر الله تعالى أن غرقت القرقورة المذكورة عشية يوم اقلاعها عن موسى المرية للتاريخ المذكور (٦)

(٥٠)

وأنشدنى أيضا ــ دام اسعاده : (الكامل)

يا لائما خبر ابن عبــاس ولم ... يعلم بمــا أودى من الأرواح
إن كنت جعدى الفؤاد عن الهوى ... فحذار هذى دولة السفاح (٧)

---

(١) القرقورة : نوع من السفن .

(٢) وردت فى نفح الطيب ٥ــ٤٨٢ .

(٣) فى نفح الطيب : من

(٤) النفح : سموت به .

(٥) النفح : قلب .

(٦) ورد الخبر على خلاف ذلك فى نفح الطيب حيث جاء على هذه الصورة : «قال الحاكى : فحلف أبو البركات أن لا يرحل من إقليم فيه من يقول مثل هذا» : أنظر نفح الطيب ٥ــ٤٨٢

(٧) يورى بألقاب بعض الخلفاء مثل : الجعدى (مروان بن محمد) ،و (السفاح) أول خلفاء بنى العباس .

(٥١)

(السريع)

وأنشدنى أيضا — حرس الله بهجة الأدب بصيانة مهجته — من مقطوعة :

طير يغنى ومزاهـــر تبـــكى ... وزهرات تنشـــق من ضحك
ووجنة الـــورد تلتظى خجـــلا ... مما رأت بين القضب من فتك
ألقى عليهـــا النســـيم بردتـــه ... فانتظمت للعنـــاق فى سلك

(٥٢)

وأنشدنى أيضا — حرس الله كماله من قصيدة : (المتقارب)

محياك عندى هـــلال سعيـــد ... فكل زمـــان ترى فيه عيـــد
وخـــدك روض بديع الجـــمال ... بـــه كل فصل ربيع جديـــد
وقـــدك للقلـــب ريحـــانة ... يميـــد إليهـــا إذا مـــا تميد
فزد كل يـــوم جمـــالا وحســـناً ... فلى كل يـــوم غرام يزيـــد
خضوع «طويل» ودمع «سريع» ... وخد «بسيط» وشجو «مديد» (١)

(٥٣)

وأنشدنى أيضا — وقى الله من النقص كماله من أخرى فى المديح :

(الكامل)

غرناطة مصر ألا هى أشرف ... والنيل شنيل(٢) ويوسف يوسف(٣
ملك غدت كل البلاد منـــازلا ... لسعوده وهى المقام الأشرف

قال لى أبقاه الله : يوسف الأول هو الثانى بعينه كما تقول (أنت أنت) و (زيد زيد) اعظاما لشأن من تخبر عنه كأنه يضيق عنه الخبر الا بأنه هو ؛ لا أستجيز غير هذا « . ووجد التورية فيه بيوسف عليه السلام ، وهى مرشحة بذكر مصر قبله .»

---

(١) يورى بأسماء بعض بحور الشعر .

(٢) شنيل نهر شهير فى غرناطة وكان شعراء الأندلس ويذهبون إلى تفضيله على النيل بزيادة الشين وعددها عند أهل المغرب ألف «فأعتبروا نهر شنيل ألف نيل بالقياس إلى نيل مصر على عادة متناهى الشعر فى ذلك (الإحاطة ١–١٢٤) .

(٣) هو يوسف بن اسماعيل النصرى حاكم غرناطة فيما بين سنى (٧٣٣ – ٧٥٥ هـ) ويورى فيه بيوسف عليه السلام ويرشحها ذكر (مصر) قبلها .

(٥٤)

وأنشدنى أيضا ــ أعلى الله محله منها :

الموطئين الخيـــل من أقرانهـــم حر الوجوه وكل شلو يشرف
قد عقروا فى الترب منهم أنجـــما لو سويت بالشهب كانت تأنف
المعلمين بالفهم ضرب الطـــلى والطعن فى الأحداق وهو تخوف
... (١) قد غـــدا دون العـــدا درعا على الدرع التى قد أهدفوا
وكذا الكماة إذا السمات تنكرت بـأليفهـــا وبلامهـــا تتعـــرف

(٥٥)

وأنشدنى أيضا شكر الله فضله من أخرى : (البسيط)

عندى من الوجد ما لو أن بادرة منه تفض لعمت كل موجود
وخق لى ، فضمير الحب فى كبدى ضمير شان (٢) سماعن كل معهود
هوى بشرعته ، قد دنت مجتهداً لا مثل لاح أتى جحدا بتقليد (٣)
فمن يقل لى ثان فى هواى فقد رمى افتراء بشرك عقد توحيد (٤)

---

(١) غير واضحة فى الأصل .
(٢) هنا موضع التورية .
(٣) يورى بكلمتى : الاجتهاد والتقليد وهما من مصطلحات الفقه .
(٤) هنا تورية أخرى بكلمتى الشرك والتوحيد .

(٥٦)

وأنشدنى أيضا — حفظ الله عليه أدواته الباهره من أخرى : (السريع)

لاحت وقد أرخت فضول اللثام ... ما أملح البدر خلال الغمام (١)
ريحانة لين من عطفها ... قد نرجوم ونهسود قيسام
بمقلة تفتن ظبى الفلا ... ووجنة تفضح بدر التمام
ما رامت القضب محاكيها ... إلا وللزهر عليها ابتسام
ولا أدعى الروض شذا عرفها ... إلا وأضحى فرية خصام

(٥٧)

وأنشدنى أيضاً — أنسا الله فى مدة حياته منها :

أفدى التى لولا سقام سرى ... فى لحظها ما شف جسمى السقام
يحلو لعينى أنفسا خدها ... ودرت خدى حين يلقاه لام (٢)
تهفو فأشدو طربا باسمها ... على قضيب البان يشدو الحمام

(٥٨)

وأنشدنى أيضاً بلغه الله أمنياته منها :

يا من لصب خانه كتمه ... وعزمه وطرفه والمنام
من ذات دل زانها خلقها ... ونهدها وردفها والقوام
قد حمت النوم بسامى الطلى ... فالقلب نهب بين «سام» «وحام» (٣)

(٥٩)

وأنشدنى أيضاً — أمتع الله ببقائه من أخرى : (الكامل)

نضج الغمام غدائر الأشجار ... فبكل عين منه دمع جسار
يبكى وتبتسم البطاح طلاقة ... فاعجب لضحك شيب باستبار
شجر قد اشتبكت بنسان غصونه ... فالطير فيه مسلسل الأخبار (٤)

---

(١) يورى بالبدر والغمام عن وجه المحبوبة .
(٢) يورى بمصطلحات الكتابة .
(٣) هنا موضع التورية .
(٤) يورى بمصطلح علم الحديث .

(٦٠)

وأنشدنى أيضاً – وإلى الله سموه من أخرى : (الكامل)

غمز الحيا عطف القضيب المنتشى فعيونه تبـــكى لتوديع العشى
سال الأصيل به نضارا فارتدى عنه الرياض رداء حسن قد وشى
وكسته أزهار الربيع مطـــارفا فـــتراه بـــين منمنم ومبرقش
ما إن يقيم الغصن فيه معطفـــا طربا لتوشـــية الطيور إذا تشى
هب النسيم على رباه فقوبلت منه صبا نجـــد بصفح المدهش

(٦١)

وأنشدنى – أبقى الله رتبته سامية من قصيدة أخرى : (الكامل)

والدوح يسقيها الحيا سر الصبـــا فتفيض فى سكـــر وفى تخليط
لبســـت من الأوراق كل مرقع وأتت بهـــام فى الثرى مخطـــوط
والماء فى صحف الحدائق مرســـل روى عواليها بغير شروط (١)
بسط النبات بهـــا خطوط محاسن فاعجب لها ولخطهـــا المبسوط

(٦٢)

وأنشدنى – دامت عافيته من – أخرى :

ياربة الطوق ماذا بحت من حرق على فؤاد بحمل الوجد مجهود
أكلما صغت لحنافى «الخفيف» ضحا حركت ساكن أشواقى بتشريد (٢)
ما مـــد سجعك إلا ظل يقصرنى فاعجب لتقييد مقصور بممدود (٣)
قل للذى ظـــل نشواناً بلا سكر من نغمة العود أو من نفحة العود
حسبى بذاك وذا روض وصادحة عزف بعزف وتغريد بتغـــريد

---

(١) يورى بمصطلح الحديث .

(٢) يورى بمصطلحات العروض .

(٣) يورى بمصطلحات الصرف .

(٦٣)

وأنشدنى أيضاً مكن الله عزه من أخرى : (الكامل)

يا دمع أجفانى اطرد ، يا حر أصلاعى اتقد ، يا قرح أكبادى انتك (١)

ويقل إتلاف النفوس تلقفـــا لفوات حـــظ منك لم يستدرك
أملى يشك وعفوكم متواطـــىء فأحـــار من متواطىء لمشـــكك
مالى سواك ، لمن أمد يد الرجا مسـمتسكا يا ملجـــأ المستمسك

(٦٤)

وأنشدنى أيضا أبقى الله شهاب علمه مشرقاً من قصيدته البائية الحافلة المسماه بالوسيلة التى توسل بها للجانب النبوى الكريم .. عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم :

(البسيط)

ويل الصليب لقد أمسوا به سلبا وويل ما نصبوا للشرك من نصب
قد عمها الخفض طرا عـــن عوامله ما بين مرتفع منها ومنتصب (٢)

(٦٥)

وأنشدنى أيضاً أطال الله بقاءه منها :

دهر يمر وآمـــــال مخيمـــة ولا احتقاب سوى وزر على الحقب
تمضى الفروع على حكم الأصول ولا استذكار قلب ولا تمهيد منقلب
خط المشيب على فوديك تذكره بأن تنيب وحتى الآن لم تنب
وقد نضا سيفه فاحذر صرامته «والسيف أصدق أنباء من الكتب»(٣)
سلت عليك الليـــالى منه ذا شطب «فى حده الحد بين الجد واللعب»(٤)

---

(١) كذا بالأصل ، ولعلها (انتكث) فى الأصل ولكن الشاعر استعملها محذوفة قياساً على ما أجازه النحاة من حذف فى بعض الكلمات .
(أنظر باب الحذف فى كتاب سيبويه) .
(٢) يورى بمصطلحات نحوية
(٣) يضمن مطلع بائيه أبى تمام الشهيرة .
(٤) هذا عجز مطلع قصيدة أبى تمام .

وهنا كمل ما أنشدنيه لنفسه من نظمه البديع فى أسلوب التورية من ألقاب البديع وسميته «رائق» التحلية فى فائق التورية » وقد صححته على ناظمه أنمى الله فخره ، وأبقى ذكره ، ليكون أوثق فى روايته وحمله ، وأصح لمبتغى تقييده ونقله والله سبحانه يوزعنا شكر آلائه ويلتنا بعباده الصالحين وأوليائه وصلى الله على مولانا محمد خاتم أنبيائه وعلى أله وأصحابه وأصفيائه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين .

كملت والحمد لله ذى الجلال ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم الأنبياء وعلى آله وصحبه خير صحب وآل ، وسلم تسليما كثيراً وكان الفراغ من نسخها فى اليوم الخامس عشر لجمادى الأولى من عام واحد وستين وسبعمائة على يد العبد الفقير إلى رحمة مولاه .. جعفر بن أحمد مشتمل الأغلبى سلمه الله فى التاريخ المؤرخ به «وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله .

فهرس الأعلام
الواردة بالمتن

أحمد بن خاتمة – أبو جعفر

أبو اسحق بن شعيب

أبو البركات بن الحاج – البلفيقى

جعفر بن أحمد بن مشتمل الأغلبي

السفاح – أبو جعفر

ابن عباس

ابن عبد الحق المالكى – أبو جعفر

أبو عبد الله بن جزى

أبو عبد الله بن شعيب

عبد الله بن رضوان – أبو القاسم

أبو عبد الله الخطيب

أبو القاسم الحسنى

فهرس بأسماء الأماكن الواردة بالمتن

أفريقية

شنيل

عين الدمع

عين صنصر

غرناطة

قصر خيران

المرية

مصر

النيل

وادى آش

فهرس الأشعار

رقم القطعة	صدر البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات
	حرف الهمزة			
٣١	مربنا البرد فى برود	السماء	البسيط	٢
٣٠	من لى به شف أو شفا كبدى	المرء	البسيط	٢
٣٣	والثغر فى الطاء هاج الهوى	بالطائى	السريع	٢
٤٤	يقولون ولى حسنة بعذاره	ماجراً	الطويل	٣
	حرف الباء			
٢١	هبت مع الفجر لميعادها	الغارب	البسيط	٢
٦٤	ويل الصليب لقد أمسوا به سلبا	نصب	البسيط	٢
٦٥	دهر يمر وآمال مخيمة	الحقت	البسيط	٥
٤	ومعطر الأنفاس يبسم دائماً	ترتيب	الكامل	٢
٣٥	تعلقته فى ملعب الخيل ترتمى	معيب	الطويل	٣
٣٦	بى فتاة جرت لقتلى قوسا	الربابا	الخفيف	٢
	حرف التاء			
٢٠	قابلت ياقوت خديه فأخجله	مبهوت	البسيط	٢
٢٤	من يبت ضيف آل بيت على	البيت	الخفيف	٢
	حرف الحاء			
١٥	الا إن حالى فى حواك خفية	تبريح	الطويل	٣
٢٩	دعا بجناح ثم سواه وانثنى	قداح	الطويل	٢
٣٧	ماطيبة الدنيا سوى ظبية	انقداح	السريع	٣

٥٠	يالائما خبر ابن عباس ولم	الأرواح	الوافر	٢
٤٠	وبديعة الأوصاف يندى جسمها	يرشح	الكامل	٢
٥	ومحكم اللحظات فى مهج الورى	جوانحى	الكامل	٢
٢	حرف الدال			
	أجاريه الطوق ماذا بحت من حرق	مجهود	البسيط	٥
٦٢	عندى من الوجد ما لو أن بادرة	موجود	البسيط	٢
٥٢	محياك عندى هلال سعيد	عيد	المتقارب	٥
٤٢	تقول سليمى إذ رأت شيب لمتى	سواده	الطويل	٢
	حرف الراء			
٢٥	أروم تشكى تهكم فتصدنى	ستر	الطويل	٢
٤٩	نضج الغمام غدائر الأشجار	جار	الكامل	٣
٣٢	لفضلك عذر فى المغيب عن القصر	قصر	الطويل	٣
١١	ولقد أقول لصاحبى ولحاظه	تجمر	الكامل	٢
٩	وشادن باكر الكتاب محتضنا	القمر	البسيط	٢
	حرف السين			
٤٦	وسائلة ما بال طرفك شاخصاً	ناعس	الطويل	٣
٤٧	تسابق للمجد الكرام فبذهم	فارس	الطويل	٣
٤٨	له جيش نصر قد نضا السعد دونه	القوانس	الطويل	٢
٨	وافى ومن أثر المداد على	اللعس	الكامل	٢
	حرف الصاد			
٤٤	كيف لى بالسلو عنها وقلبى	الحرص	الخفيف	٢
٤١	أردد طرفى بين ظاهر روضه	النص	الطويل	٢